المستوى الصرفي الجزء الثاني

ثانيا – العدول من المفرد إلى الجمع :

وقد جاءت بعض الألفاظ على صيغ الجمع بدلاً من المفرد في سورة الكهف لتدل على عدة معان منها :

١- التعظيم :

ويعدل عن المفرد إلى الجمع وهو كثير فيما يخص بالذات الإلهية إذ تدل صيغة الجمع على التعظيم وغالباً ما تكون على شكل ضمير المتكلم ، كقوله تعالى : ((وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً)) { الكهف ٥٩ } فدلالة الجمع تضفي ظلالاً من التعظيم والهيبة مع طبيعة الحدث (الهلاك) فتكرر الضمير ليزيد من هول الموقف والتصور.

٢- الاختصاص :

ومن ذلك الضمير (نحن) في قوله تعالى : ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق)) {الكهف ١٣ } إذ إن تقديم الضمير المتكلم الجمعي يدل على اختصاص الله تعالى بالعلم اليقين مع ما يظل العبارة من صفة التعظيم فضلاً عن تحويل الجملة الفعلية إلى اسمية وما تشعر به الجملة الاسمية من الدلالة على الثبات بعد ما ظهر من الاختصاص.

٣- التحسر والندم :

ما يسبب الحسرة والندم يوم القيامة كثرة الأعمال المحبطة التي لا فائدة منها كقوله تعالى : ((قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً)) { الكهف ١٠٣ } فالأخسرين فيه أكثر من جانب في العدول فلم يقل (خاسرين) لأن الصيغة المستخدمة أكثر مبالغة فزيادة الأعمال لم تزدهم إلا قدماً وحسرةً على كثرة الأعمال الضائعة فلو جاء على الأصل للتمييز لكان الأخسرين عملاً فلا تشكل مع المفرد مثيراً بل يكون تأثيرها قليلاً.

٤- دقة التصوير :

ومن ذلك لفظ الرياح في قوله تعالى : ((فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً)) { الكهف ٤٥ } إذ الأغلب دلالة الريح في اللغة على العذاب والرياح على الرحمة. إلا أن الرياح هنا خرجت عن أصلها في الاستعمال اللغوي فجاءت هنا لتصور حالهم

فهي تهب عليهم من كل صوب واتجاه فلا يستطيعون معها جمعاً لثمرهم ولا يتوقعونها من أي اتجاه تأتي لكثرتها واختلافها عليهم.

أما دلالة جمع القلة والكثرة فجمع القلة لا يزيد على تسعة فما زاد فهو كثرة وفي قوله تعالى : ((إنهم فتية آمنوا بربهم)) { الكهف ١٣ } يلحظ أن الجمع جاء قلة (فتية) أي لا يزيد على تسعة لأن عددهم لا يتجاوز الثمانية.

وفي قوله تعالى : ((واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً)) { الكهف ٢٧ } فالكلمات جمع قلة { جمع المؤنث السالم } والكلام جمع كثرة فإذا كان التبديل مستحيلاً للقليل فإن ذلك أولى أن يستحيل مع الكثير ، ومع صيغة كلماته يظهر أن النفي للتبديل قد وقع على كل كلمة منفردة مستقلة وهذا أظهر وأبلغ في الوصف.